سيـــرة الشيخ

سَعْد بِن عَتِيق رحمه الله

١٢٦٨هـ - ١٣٤٩هـ

ورحلته إلى الهنـد

جمع وترتيب:
عبدالله بن سعود آل معدي

شبكة الألوكة
www.alukah.net

سيـــرة الشيخ

سَعْد بِن عَتِيق رحمه الله

١٢٦٨هـ - ١٣٤٩هـ

ورحلته إلى الهنـد

جمع وترتيب:
عبدالله بن سعود آل معدي

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمـــــة

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

ما بين حِقَب وأخرى، وزمن ومثله، يقيض الله لهذا الدين من يقوم بأمره، ويعمل لأجله، ويبذل له النفس والنفيس، حتى يموت يوم يموت وقد قدم وسعه وأدى ما عليه.

وممن سلكوا هذه المسالك -نحسبهم كذلك- الشيخ سعد ابن الشيخ حمد بن علي بن عتيق، وهو ووالده من أئمة الدعوة النجدية زمن الدولة السعودية الثانية ثم الثالثة، والتي شهدت الكثير من الأحداث والمتغيرات، كانت فيها الدولة في مسيس الحاجة لمثل أولئك الجبال حتى يثبّتوا دعائمها ويُرسُوا قواعدها -بإذن الله-، ويقوموا بنشر العلم والنصح والتوجيه للبعيد والقريب.

ونحن اليوم في غاية الحاجة لنشر تراجم أولئك الرجال -وأي رجال لو كنتم تعلمون- :﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ [يوسف: ١١١] وما ذاك إلا لنزاحم بهم في زمن التفاهة، ونرفعهم للعيَان؛ لينظر إليهم هذا الجيل بعين التقدير والتبجيل، وليعلموا يقيناً أن العلم يرفع شأن صاحبه في حياته وبعد مماته؛ ولذلك كانت هذه الترجمة التي سبقني إليها الكثير من العلماء والفضلاء، وما هذه إلا عالة عليهم، حاولت فيها أن أجمع ما تشتت، وأقرّب ما بَعُد، وأبيّن بعض المواضع التي قصدها الشيخ -رحمه الله- في رحلته، كما حاولت أن أتحقق من بعض ما ورد عنه خاصة فيما اُختلف فيه، إضافة إلى أن هذا البحث شيء من واجب الوفاء لهذا العلم -رحمه الله-.

اسمه ونسبه وولادتـه:

ولد الشيخ سعد بن حمد بن علي بن عتيق بن راشد بن حميضة[١] في بلدة الحلوة بحوطة بني تميم عام ١٢٦٨هـ[٢]، وذلك زمن الدولة السعودية الثانية خلال فترة حكم الإمام فيصل بن تركي -رحمه اللّه-.

والده هو المحدث الفقيه الشيخ حمد بن عتيق ولد عام ١٢٢٧هـ في الزلفي، ثم انتقل إلى الرياض[٣] لتحصيل العلم على يد الشيخ عبدالرحمن بن حسن -رحمه اللّه-، ثم عمل في القضاء والدعوة في الخرج، ثم في الحلوة بحوطة بني تميم، ثم استقر بالأفلاج حتى توفي -رحمه اللّه- سنة ١٣٠١هـ[٤] [٥].

وأما والدته فهي المرأة العابدة الصالحة سارة بنت سعد بن كسران، تزوجها الشيخ حمد خلال فترة ولايته للقضاء بالحلوة، وكانت حافظة لكتاب اللّه حتى قيل إنها قرأت على زوجها سورة البقرة في ليلة الدخلة [٦].

---

[١] هذا هو الاسم كاملاً لوالد الشيخ سعد كما أورده الشيخ إسماعيل بن عتيق في كتاب التحقيق في معرفة أبناء الشيخ حمد بن علي بن عتيق: ص١١.

[٢] علماء نجد خلال ثمانية قرون (٢/ ٢٢٠)، وتذكرة أولي النهى والعرفان (٣/ ٢١٥). وقد اُختلف في سنة ولادته فقيل سنة ١٢٦٧هـ و ١٢٧٧هـ ١٢٧٩هـ وقيل غير ذلك، أما صاحب التذكرة فذكر أنه ولد عام ١٢٧٩هـ، وقال الشيخ إسماعيل بن سعد بن عتيق في كتابه (التحقيق: ص٣٨): الصواب أنه ولد عام ١٢٦٧هـ. كما أنه جاء في ترجمته في (الدرر السنية) وعند الزركلي في (الأعلام) أنه ولد في الأفلاج، إلا أن تلميذه الشيخ سليمان بن حمدان المتوفى سنة ١٣٩٧هـ -رحمه اللّه- أثبت في كتابه (تراجم لمتأخري الحنابلة: ص ١٠٦) أنه ولد في الحلوة، وأيّده الشيخ إسماعيل بن عتيق (حفيد أخ الشيخ سعد) في كتابه التحقيق عند ترجمته للشيخ سعد، وكذلك صاحب المبتدأ والخبر (٣٦٢/١)، وكذا ابن بسام في علماء نجد وصاحب تذكرة أولي النهى في المواضع المذكور آنفاً.

[٣] قدم مع الشيخ حمد إلى الرياض أختين له، إحداهما: رابعة، وقد تزوجت من محمد بن محسن السريبي، وقد تلقى العلم عليها بنات عبداللّه بن فيصل آل سعود، والأخرى: نورة، وتزوجت من ثنيان العرفج، وكلا الزوجين من حوطة بني تميم (التحقيق في معرفة أبناء الشيخ حمد بن علي بن عتيق: ص١١).

[٤] هداية الطريق من رسائل وفتاوى الشيخ حمد بن عتيق : ص٧، المجموع المفيد من رسائل وفتاوى الشيخ سعد بن عتيق: ص ٩.

[٥] عنوان المجد في تاريخ نجد، لابن بشر (٢/ ٣٦).

[٦] علماء نجد خلال ثمانية قرون، للشيخ عبداللّه بن عبدالرحمن آل بسام (٣/ ٣٣٠)، التحقيق في معرفة أبناء الشيخ حمد بن علي بن عتيق: ص١٧.

نشأتــه:

نشأ الشيخ سعد بن عتيق في كنف والده محباً للعلم وأهله، وحفظ القرآن مبكراً، وقرأ على والده جملة من المتون المؤلّفة في توحيد العبادة وتوحيد الأسماء والصفات والفقه والحديث والنحو[١].

طلبه للعلــم:

لما انتقل الشيخ مع والده من حوطة بني تميم إلى الأفلاج، كان لوالده الشيخ حمد مراسلات هناك مع عالم الهند الشيخ صديق حسن خان[٢] - وقد كانت الهند في ذلك الزمن هي قبلة العلماء - ومن ضمن مراسلاته رسالة أخبره فيها بتعلق ابنٍ له بالعلم والعلماء، ابتدأها بالتبجيل والتعظيم لمقام الشيخ صديق واستبشاره بمذهبه وطريقته، ثم بيّن -بأدب العلماء والتماس العذر وتقديم حسن القصد- خطأ الشيخ صدّيق في بعض المواضع من تفسيره، كما أبان عن شوقه للوصول إلى الشيخ لولا بعد الديار وخطر الطريق وكثرة قطاعه. وطلب الشيخ حمد -رحمه اللّه- منه أيضاً أن يشرح نونية ابن القيم -رحمه اللّه-، وتكلم في الرسالة أيضاً عن بعض مسائل التوحيد، وغير ذلك[٣].

وفي تلك الرساله أخبره الشيخ حمد بمسير ابنه إليه لطلب العلم عنده في الهند، فمن ضمن رسالته للشيخ صدّيق قال: "ولي ابنٌ[٤] يتشبث بالعلم، ويحب الطلب، فجعل يتوق إلى اللحوق بكم، والتخرج عليكم، والالتقاط

---

(١) مشاهير علماء نجد للشيخ عبدالرحمن بن عبداللطيف بن عبدالله آل الشيخ: ص٢٢٣.

(٢) صديق بنُ حسن بنِ عليّ بنِ لطفِ اللّه الحسينيُّ، البخاريُّ، القنوجيُّ، ينتهي نسبه إلى الحسين بن علي، ولد سنة ١٢٤٨هـ، نشأ ببلدة (قنوج) إحدى أقدم بلاد الهند، قرأ على عدة علماء، وله مؤلفات كثيرة بلغت مئتي مؤلف باللغة العربية والفارسية والهندية، تزوج ملكة بهوبال بطلب منها، وأصبح حاكماً بدلاً عنها، وأصلح اللّه على يديه البلاد في شتى الأصعدة، وقرب العلماء، وأمر بالمعروف ونهى عن المنكر، وله جهود إصلاحية بارزة، حتى وُشي به عند الإنجليز فعُزِل، توفي سنة ١٣٠٧هـ في بهوبال. (انظر ترجمته لنفسه في كتابه التاج المكلل: ص ٥٣٦) (مشاهير علماء نجد وغيرهم: ص ٢٧٥).

(٣) هداية الطريق من رسائل وفتاوى الشيخ حمد بن عتيق: ص ١١٩- ص١٢٩

(٤) يقصد الشيخ سعد

من جواهركم..." ثم قال:"واعلم أني قد بلغت السبعين، وأنا في معترك الأعمار لا آمن هجوم المنية، ولي أولاد ثمانية، منهم ثلاثة يطلبون العلم، كبيرهم سعد المذكور أولاً، ويأتيه عبدالعزيز وتحته عبداللطيف... وبقيتهم صغار..."[١]، وفي ختامها طلب منه بعض الكتب يرسلها إليه، ثم دعا له وسلم عليه.

رحلته للهنـــد:

جدَّ الشيخ سعد في طلب علم الحديث، ثم عزم على الرحلة إلى الهند في طلب العلم[٢]، وكان ذلك سنة ١٣٠١هـ[٣]، فسافر -رحمه الله-[٤] في زمن مخوف "كثرت فيه الفتن وترادفت فيه المحن وانقطعت فيه السبل، فتارةً يسير مع ركبان الإبل وطوراً مع المشاة على الأقدام، وأخرى يقطع البحار على السفن فكابد المشاق والعذاب، واحتسب الثواب من رب الأرباب، وقد وجدت من ذِكر سفره ما أثبته عن نفسه بقوله يروي لنا قصته فقال:

ثم بعد مضي سبعة أيام ركبنا في أقْرُب -وهي سفينة صغيرة- متوجهين إلى بلد من بلدان فارس تسمى (شارك)[٥]، وكان ركوبنا قبيل غروب الشمس يوم السبت سابع عشر من جمادى الأولى، وصاحَبَنا في تلك الليلة التوفيق

---

[١] بحث بعنوان: جوانب دعوية من سير علماء الدعوة السلفية، موقع دارة الملك عبدالعزيز، نقلاً عن مجموعة كتب ورسائل الشيخ حمد بن عتيق: ص٥٢، ص٥٣.

[٢] وكان عمره حينها قرابة ٣٤ سنة، وقد ذكر صاحب المبتدأ والخبر أن الشيخ سعد -رحمه الله- جاء للرياض أول ما ابتدأ في طلب العلم وذلك قبل رحلته إلى الهند، وتلقى العلم عن الشيخ محمد بن محمود وغيره (٣٦٩/١)، ولم أجد أحداً ذكر ذلك سواه -والله أعلم-.

[٣] أرّخها الشيخ سعد بنفسه بالأبجدية في بيتين أرسلها لوالده، وأجابه والده بأربعة أبيات داعياً له فيها، انظر: (المجموع المفيد من رسائل وفتاوى الشيخ سعد بن عتيق: ص ١٠)

[٤] الذي يظهر والله أعلم أنه -رحمه الله- سلك طريق القوافل من الأفلاج مروراً بـ(يبرين) حتى بلغ الأحساء، ومنه عبر نحو بلاد فارس على السفن، ودليل ذلك أنه -رحمه الله- بعدما رجع من رحلته إلى الأفلاج ومكثه بها زمناً عزم على العودة للهند مرة أخرى عن طريق الأحساء لولا أنه أصيب بمرض في عينيه حين بلغها فرجع، وأصبح ضريراً بعدها. (انظر: طرق التجارة القديمة - من إصدارات الهيئة العامة للسياحة والآثار) و(تذكرة أولي النهى والعرفان بأيام الله الواحد الديان وذكر حوادث الزمان ٢٥١/٣).

[٥] بالنظر إلى الخريطة يبدو أنها اليوم تسمى (بندر جارك) من بلدان إيران، حيث تقع على ساحل الخليج العربي، مقابل مدينة دبي تقريباً على الضفة الأخرى.

من اللّه تعالى والإسعاف، فلذلك قدمنا البلد في أول تلك الليلة، فلما أصبحنا يوم الأحد اجتمعنا بالأخ (علي بن سلمان)، وخرجنا من تلك البلاد بعد صلاة الظهر متوجهين إلى (لنية)[١] نمشي على أقدامنا؛ لأن البحر في تلك الأيام مضطرب اضطراباً شديداً. وبعد خروجنا من البلاد المذكورة قدمنا البلاد المسماة (باوردان)[٢] عند رجال صالحين منهم الأخ (سلمان بن خميس وإبراهيم بن ياقوت) ووجدنا عندهم شيئًا من كتب التفسير وبعض كتب شيخ الإسلام، وأقمنا عندهم آخر يوم الأحد، ويوم الاثنين، فلما كان يوم الثلاثاء أجمعت على المسير وتخلف الأخ علي عند أصحابه؛ لأنه كان مريضًا، وخرجت من تلك البلاد ومعي غلام أرسله معي أهل البلاد لهداية السبيل، وكان اسمه (بلال)، وأصابنا في ذلك المسير مطر بَلّ ثيابنا بللاً كثيراً، ثم أخذ معي ما شاء اللّه ثم رجع إلى وطنه، وبقيت في تلك الطريق وحدي متوكلاً على اللّه معتمداً عليه، فحصل بحمد اللّه من الإعانة والتسديد في ذلك الطريق ما لم أظن، وقدمت (مغوة)[٣] في وقت الظهر، ثم بعد الصلاة خرجت من المسجد لبعض الأغراض، فارتفعت لي البلاد المسماة (ذوان)[٤] فتوجهت إليها في الحال وصليت فيها العصر، ثم بعد السلام من الصلاة سألت رجالاً عندي عن مسألة فكان في جوابهم ما اقتضى التعجل، فخرجت في الحال قاصداً (لنية) مستقبلاً الليل، فمشيت آخر يومي وأول ليلتي، فبينما أنا أمشي إذ رأيت ناراً فعشوت إلى ضوئها، فإذا أنا برجال على شاطئ البحر ألقتهم سفينتهم بعد الغروب إلى ذلك المكان، فبِتُّ عندهم تلك الليلة، وكانت ليلة مطيرة، وصان اللّه تعالى الكتب التي معي بسبب أولئك، فإني بِتُّ عندهم في مثل الخيمة -وهو شراع سفينتهم- أصلحوه حتى عصمنا اللّه به من المطر، فلما كان الصباح سرت من عندهم متوجهًا إلى (لنية)، فلما كان وقت العصر دخلت تلك البلاد

---

[١] يظهر اليوم أنها "لنجة" وليست لنية، وربما أنها كانت تسمى كذلك أو لأن أهل نجد وخاصة جنوب الرياض يقلبون الجيم ياءً، وهي بلدة تقع قريبةً من سابقتها.

[٢] إلى الآن تسمى كذلك، هي والمواضع التي سيأتي ذكرها كلها قريبة من بعضها.

[٣] اسمها الآن (مغوية) حسب الخريطة؛ قريب موضعها من سابقاتها.

[٤] ربما هي الآن (ديوان) حسب الخريطة؛ لأنها حول المواضع السابقة كلها.

وهي (لنية) المذكورة، وذلك اليوم يوم الأربعاء حادي وعشرين من جمادى الأولى، وصادفنا الأخ (إبراهيم بن سيف) المقدم ذكره، وأقمت عنده في تلك البلاد آخر ذلك اليوم وأول الغد، ثم وصل إلى (لنية) المركب -أعني مركب العجم- قاصداً الهند، فركبت فيه وبقينا في ذلك المركب قبل وصوله الهند تسعة أيام لأنه -أعني المركب- وقف قريباً من (بندر عباس)[١] يومين. وقد رأينا فيما أتينا عليه من آيات الله تعالى الكبار وآثار قدرته وعجيب صنعه مما يدل أوضح دلالة وينادي أعظم نداء أنه تعالى هو الإله الحق المتفرد بالعبادة الذي لا تصلح لغيره ولا تنبغي لسواه، آمنا به وعليه توكلنا هو ربي لا إله إلا هو عليه توكلت وإليه متاب، وقدمنا "البندر بمبي"[٢] مستهل جمادى الأخرة وهو الشهر السادس من شهور السنة المحررة أعني سنة ١٣٠١هـ إحدى وثلاث مئة بعد الألف[٣].

هذا هو الجزء الذي عُثِر عليه من رحلته التي كتبها بنفسه، أما بقية الرحلة فمفقود، والمفقود كثير، فانتقاله من الأفلاج إلى أن وصل فارس (إيران حالياً) لم يوجد، وطريق عودته من الهند إلى مكة كذلك.

وقد تعقب الشيخ إسماعيل بن عتيق في كتابه التحقيق مدة بقاء الشيخ سعد في الهند، من خلال البحث في رسائل وتآليف الشيخ سعد المؤرخة، سواء حين كان في الهند أو بعدما صار قاضياً لابن رشيد بعد عودته من الرحلة، وخلص إلى أنه مكث في الهند ثلاث سنوات يطلب العلم فيها[٤]، متنقلاً بين بلدان الهند: مومباي ودهلي وبهوبال[٥]، ومعلوم أن بينها مسافات شاسعة لا

---

[١] موضع يبعد قليلاً ناحية الجنوب عن الأماكن المذكورة آنفاً. وجميع الأماكن المذكورة لم أجد لها ذكراً في كتب البلدانيات -حسب بحثي المتواضع- ولذلك استندت على الخرائط مرجعاً.

[٢] بومباي: إحدى أكبر بلدان الهند الساحلية.

[٣] انظر: تذكرة أولي النهى (٣/ ٢٥٢)، والمجموع المفيد من رسائل وفتاوى الشيخ سعد بن عتيق: ص١٠، وصورة لمخطوطة للشيخ كتبها عن رحلته.

[٤] التحقيق في معرفة أبناء الشيخ حمد بن عتيق: ص ٤٢-٤٣، وبيّن خطأ من قال إنه مكث فيها تسع سنين.

[٥] (مومباي) كانت تسمى بومباي، ودهلي هي اليوم (دلهي)، وبهوبال تسمى اليوم (بوبال).

تقل خطورتها وصعوبة مسالكها عن خطورة ما لاقاه في الوصول إلى مومباي.

ولقد عانى الشيخ -رحمه اللّٰه- في رحلته كثيراً، فبالتتبع لأهم ما حدث في سنين الغربة، نجد أن والده الشيخ حمد بن عتيق -رحمه اللّٰه- قد توفي بعد رحيله للهند بثلاثة أشهر فقط، وذلك سنة ١٣٠١هـ[١]!

كما كان -رحمه اللّٰه- ربما يصيبه الجوع هناك فيتشوّف إلى التمر فيجد امرأة توزعه في إحدى طرق الهند فيأخذه ليسد جوعه[٢].

وأما شكوى الغربة والنأي عن الأوطان وبُعد الديار، فها هو الشيخ -رحمه اللّٰه- يبوح بها في آخر أسطر رسالته المسماة: (عقيدة الطائفة النجدية في توحيد الإلهية) التي ألفها في الهند، فيقول:

"هذا ما أردنا تسويده في هذه المسائل الثلاث، مع فقد الكتب، وتشتت الذهن، وتشعب الفؤاد؛ لما نقاسيه من أعباء الغربة وعظم المشاكل، وأسأل اللّٰه أن ينظرني بعين عنايته، ويرحم غربتي في الدنيا والآخرة، وصلى اللّٰه على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين"[٣].

شيوخه في الهند:

وقد أخذ الشيخ سعد -رحمه اللّٰه- عن عدة من علماء الهند، فأخذ العلم عن الشيخ نذير حسين الدهلوي[٤] والشيخ شريف حسين، والشيخ صديق حسن القنوجي، وعن الشيخ حسين بن محسن الأنصاري الخزرجي، والشيخ محمد بشير السندي، والشيخ سلامة اللّٰه الهندي[٥]، وغيرهم، وهؤلاء علماء محققون في العقيدة ومحدثون مفسرون[٦] وقد أجازوه بما رووه من الدواوين

---

[١] تراجم لمتأخري الحنابلة: ص ١٠٧

[٢] التحقيق في معرفة أبناء الشيخ حمد بن عتيق: ص ٤٧

[٣] وفي آخر النسخة الخطية (الأصل) كتب ما نصه: حرره الفقير إلى مولاه سعد بن حمد بن عتيق ١٣ ش سنة ١٣٠٢هـ... انظر: عقيدة الطائفة النجدية: ص ٦١.

[٤] وكان الشيخ يقدمه على سائر شيوخه وينعته بأعلى الأوصاف، ومكث عنده سنة كاملة (النجديون في الهند: ص ١٣٦)

[٥] الدرر السنية في الأجوبة النجدية (١٦/ ٤٥٤)

[٦] علماء نجد خلال ثمانية قرون (٢/ ٢٢٠)

وكتب السنة كصحيحي البخاري ومسلم والسنن الأربعة، ومسند الإمام أحمد وموطأ مالك وغيرها — رحم الله الجميع- [1].

وكتب الشيخ -رحمه الله- في الهند سنة ١٣٠٢هـ رسالته: (عقيدة الطائفة النجدية في توحيد الإلهية)، ونسَخَ (النفَس اليماني والروح الريحاني) في ٢٧/ رجب/ ١٣٠٣هـ، ونسخ في مسجد إبراهيم خان في بهوبال كتاب: (نخبة الفِكَر في مصطلح أهل الأثر) لابن حجر المتوفى سنة ٨٥٢هـ في ٧/ شوال/ ١٣٠٢هـ، كما نسخ كتاب (ثمرات النظر في علم الأثر) للصنعاني في بهوبال ليلة الخميس تمام الثلاثين من ربيع الأول سنة ١٣٠٣هـ، ونسخ (الصواعق المرسلة) لابن القيم -رحمه الله- وانتهى منها عشية يوم الأحد ٥/ رجب/ ١٣٠٣هـ في مسجد الكاين في بهوبال الهندية[2]، وله مراسلات كثيرة وفتاوى مطبوعة[3].

رحلته إلى مكة المكرمة:

ثم عاد -رحمه الله- من الهند، وتوجه نحو مكة المكرمة[4] لأداء فريضة الحج سنة ١٣٠٤هـ، وبقي فيها ستة أشهر يطلب العلم، وقرأ هناك على الشيخ شعيب بن عبدالرحمن الدكالي المغربي، والشيخ الفقيه العلامة أحمد بن إبراهيم بن عيسى النجدي[5]، والشيخ محمد بن سليمان حسب الله

---

(١) المبتدأ والخبر (١/ ٣٧٣)

(٢) النجديون في الهند: ص ١٣٧-١٣٩ ، نقلاً عن عدة مخطوطات في مكتبة الملك فهد الوطنية.

(٣) تجدها في كتاب: المجموع المفيد من رسائل وفتاوى الشيخ سعد بن عتيق -رحمه الله-.

(٤) لم يسلك الشيخ -رحمه الله- طريق الذهاب، بل توجه إلى مكة مباشرة لأداء فريضة الحج، ومعلوم أن الهند في الجنوب الشرقي ومكة المكرمة في الغرب، وبينهما من المسافات ما بينهما، بحار وقفار، وهُلْكٌ وأخطار، والذي يظهر أنه عاد من الهند مع طرق التجارة القديمة التي تسلكها السفن وترسو باليمن، ثم توجه من اليمن إلى الحجاز فمكة المكرمة -والله أعلم-، وكل ذلك لأجل العلم والعلم فقط، فيا للهمم!

(٥) هو العلامة أحمد بن إبراهيم بن عيسى، ولد في بلدة شقراء سنة ١٢٥٣هـ، أخذ العلم عن عدة علماء منهم الشيخ عبدالرحمن بن حسن، ثم توجه إلى مكة للحج وعاد، ثم أخذ يتردد على مكة، له مناظرات مع المخالفين هدى الله بعضهم بسببها، ألّف ردوداً كثيرة على علماء الضلال وأنصار البدع، وأخذ عنه العلم خلق كثير، وقد جالس أمير مكة عون بن محمد بن عون فأقنعه بهدم القباب المشيدة على القبور، كان عادلاً في القضاء مشكور السيرة، توفي بعد صلاة يوم الجمعة ٤ جمادى الآخرة سنة ١٣٢٧هـ=

الهندي، والشيخ السيد عبدالله بن محمد بن صالح الزواوي، والشيخ أحمد أبو الخيور، وهؤلاء العلماء منهم نجديون وحجازيون وهنود. ثم عاد بعد ذلك إلى نجد (الأفلاج) سنة ١٣٠٥هـ[١].

وقد كتب في مكة المكرمة (تجريد التوحيد المفيد) للمقريزي[٢].

في الأفلاج:

استقر الشيخ -رحمه الله- بعد هذه الرحلة في بلدة العَمَار بالأفلاج، وعينه الإمام عبدالله الفيصل آل سعود قضاء الأفلاج مكان والده الشيخ حمد -رحمه الله- وتولى قضاء الأفلاج، وتولى التدريس والتعليم فيها حتى كان يُرحَل إليه لطلب العلم عنده[٣]، وبعد أن استولى ابن رشيد على الأفلاج أقرّ الشيخ سعد على عمله، ولما استولى جلالة الملك عبدالعزيز -رحمه الله- على نجد وفتح الرياض سنة ١٣١٩هـ واستولى على الأفلاج أيضاً نقله إلى مدينة الرياض بجانبه[٤].

ويروى أنه لما كان الأفلاج تحت حكم آل رشيد كان الشيخ -رحمه الله- يرتحل كل عام إلى حائل فيلتقي بآل رشيد وغالب علماء حائل ويلقي دروساً عليهم، وقد لازموه ملازمة تامة وانتفعوا به[٥].

=قرأ عليه الشيخ سعد شرح زاد المستقنع بكماله، وقرأ عليه أيضًا كثيراً من المؤلفات النافعة لا سيما الكتب المتعلقة بالحديث وقد أجازه كما رواه وسمعه. انظر: مشاهير علماء نجد: ص١٨٨، وتذكرة أولي النهى والعرفان (٣/ ٣١)

(١) النجديون في الهند: ص ١٣٩

(٢) المبتدأ والخبر (١/ ٣٧٦)

(٣) جاء في ترجمة الشيخ الشاعر الأديب محمد بن عثيمين المتوفى ١٣٦٣هـ أنه "رحل (من الخرج) إلى الأفلاج للأخذ عن الشيخ سعد بن عتيق، فقرأ عليه في التوحيد والحديث والفقه، حتى صار له إلمام بهذه العلوم كلها". انظر: تسهيل السابلة لمريد معرفة الحنابلة (٣/ ١٨١٩)

(٤) مشاهير علماء نجد وغيرهم: ص ٣٤٢ ، علماء نجد خلال ثمانية قرون (٢/ ٢٢٢)

(٥) تسهيل السابلة لمريد معرفة الحنابلة (٣/ ١٧٧٢)

وبعد ما أقام مدة في بلده الأفلاج عزم الشيخ سعد على السفر إلى الهند مرة أخرى للاستزادة من العلم، فشد رحاله وسافر، ولما بلغ الأحساء أصابه مرض في عينيه اضطره للعودة فعاد، وبعدها أصبح ضريراً -رحمه اللّٰه-[١].

في الرياض:

يروى أن الملك عبدالعزيز -رحمه اللّٰه- لما قدم الأفلاج والتقى بالشيخ سعد -رحمه اللّٰه- هناك وحضر مجالسه واستمع إلى دروسه قال قولته الشهيرة: "وجدتُ درّةً في بيت خرِب"[٢]، مما يدل على إعجاب الملك به -رحمهما اللّٰه- ثم نقله بعد ذلك إلى الرياض.

وصار الشيخ إماماً في الجامع الكبير بالرياض، وعقد فيه حلقتين للتدريس، إحداهما بعد طلوع الشمس حتى امتداد النهار، والأخرى بعد صلاة الظهر، خلاف الدروس الخاصة في بيته.

وكان -رحمه اللّٰه- قد تولى القضاء في الدماء وجميع القضايا التي تتعلق بالبوادي[٣].

وبقي في الرياض يعلّم ويفتي حتى توفي -رحمه اللّٰه-.

صفاتــــه:

كان الشيخ -رحمه اللّٰه- شديد التحري والضبط في دروسه، قليل الكلام، شديد التثبت، يشبع المسألة شرحاً وتقريراً يفهمه الطالب ويرسخ في ذهنه[٤]، ولربما -إن حصل إشكال في مسألة- لم يتجاوزه حتى يزول ذلك الإشكال، حتى وإن اضطر أن يبعث من يُحضر له الكتب التي يكون فيها مظنة زوال الإشكال، أو ربما أوقف القارئ أو قطع الدرس إن استعصى عليه[٥].

---

[١] تذكرة أولي النهى والعرفان (٣/ ٢٥١)

[٢] المجموع المفيد : ١٧

[٣] مشاهير علماء نجد وغيرهم: ص ٣٢٤

[٤] مشاهير علماء نجد وغيرهم: ص ٣٢٤

[٥] المبتدأ والخبر (١/ ٣٧٧)

قال الشيخ ابن باز -رحمه الله-: "وقرأت على الشيخ سعد بن عتيق -قاضي البادية في الرياض وإمام الجامع الكبير- أبواباً من كتاب التوحيد، وكان عالماً فاضلاً جليلاً قدّس الله روحه وأصلح ذريته"[١].

وكان رحمه الله لا يداري ولا يداهن بل يظهر دينه ويصدع بالحق ولا تأخذه في الله لومة لائم ولا يبالي في نصرة الحق رضي الناس أم سخطوا[٢].

وكان دائماً ما يهضم نفسه ولا حظّ لها عنده، فمما قاله في بعض ردوده على سائلية في إحدى رسائله: "ولا شك أن مسيس الحاجة إلى مثلي في كشف المشكلات يدل على انقراض العلم وتقوّض خيامه؛ لعدم الأهلية في ذلك... وهذه بضاعة أخيك المزجاة، فإن رأيت أسدّ من هذا الجواب فلا أعذرك من بيانه لتحصيل الفائدة، والحق مقبول، ولا حول ولا قوة إلا بالله..."[٣].

وفي رسالة أخرى قال: "فسؤال مثلي يدل على انقراض العلم وانتقال أهله؛ لما اتصفنا به من قلة العلم وقصور الفهم، مع ما انضم إلى ذلك من كثرة الأشغال وقلة الفراغ، ولكن الأمر كما قيل:

ولكن البلاد إذا اقشعرّت وصوّح نبتها رُعِي الهشيمُ"[٤]

وقال الشيخ حمد الجاسر -رحمه الله- وهو أحد طلاب الشيخ سعد واصفاً إياه: " وكان الشيخ رَبْعة من الرجال، تغلب السمرة على لونه، في صوته خُنّة..."[٥].

وكان الشيخ يقرض الشعر على طريقة العلماء، منها نظم متن (زاد المستقنع) الذي وصل فيه إلى الشهادات وتوفي قبل إتمامه[٦].

---

(١) شريط على طريق الدعوة

(٢) تذكرة أولي النهى والعرفان (٣/ ٢٥١)

(٣) المجموع المفيد: ص ١٢٥

(٤) المجموع المفيد: ص ٨٩

(٥) سوانح الذكريات (١/ ١٨٢)

(٦) مشاهير علماء نجد: ص ٣٢٥، علماء نجد خلال ثمانية قرون (٢/ ٢٢٥)

شيوخه وتلامذته:

أما شيوخه فأولهم وأبرزهم هو والده الشيخ حمد بن عتيق -رحمه اللّٰه-، وأما غيره فقد مرت بنا أسماؤهم سلفاً، سواء في الهند، أو في الحجاز - رحمهم اللّٰه جميعاً-.

وأما تلامذته فقد تتلمذ على يديه الكثير من المشائخ والعلماء وطلبة العلم، ومن أبرزهم: إخوته (إسماعيل وإسحاق وعبدالعزيز وعبداللّٰه وعبداللطيف)، بنوه (حمد وعبدالعزيز)، الشيخ حمد الجاسر (الباحث المعروف)، الشيخ سليمان بن سحمان، الشيخ صالح بن سليمان بن سحمان، الشيخ عبدالرحمن بن إسحاق آل الشيخ، الشيخ سليمان بن عبدالرحمن بن حمدان، الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ (مفتي الديار السعودية)، الشيخ الشاعر محمد بن عثيمين، خال الشيخ سعد الشيخ (عبدالرحمن بن ناصر الفرج)، الشيخ عبدالعزيز بن باز (المفتي العام للمملكة)، الشيخ عبداللّٰه بن علي أبو يابس، الشيخ عبداللّٰه بن حميد... وغيرهم كثير من المشائخ والعلماء الأفذاذ - رحمهم اللّٰه جميعاً وجزاهم عن المسلمين خيراً-[1].

بعض أخباره:

للشيخ قصص وأحداث كثيرة كأي علم له مكانته السامية التي جعلت من حياته محطًّا للأنظار، منها المدوَّن والمروي، فمن ذلك:

ما ذكره ابن بليهد -رحمه اللّٰه- في كتابه صحيح الأخبار، حيث قال في تعليقه على ما ذكره ياقوت الحموي عن موضع يسمى (طلْح) بين اليمامة ومكة، قال:

لا أعلم موضعاً يقارب ما ذكره ياقوت هنا سوى موضع واحد يقال له: (طِلحا) في (وادي برك) في منتصف المسافة بين (حوطة بني تميم) وبلاد (الأفلاج)... وفي (طِلحا) المذكورة كانت الواقعة المشهورة التي قام بها

[1] مجموع رسائل وفتاوى الشيخ سعد بن عتيق: ص ١٠

جماعة من اللصوص على قافلة تجارية كبيرة كانت خارجة من الحوطة متجهة نحو بلاد الأفلاج، وكان فيها الشيخان الكبيران والعالمان الجليلان: سعد بن عتيق، وسليمان بن سحمان، فبيَّتهم اللصوص وأخذوا القافلة التجارية، وقتلوا رجالاً ونساءً، ونجّا الله الشيخين من شر اللصوص وكيدهم. وفي ذلك قال الشيخ سليمان بن سحمان:

وبـيَّـتَـنـا الأعـداء لادرّ درّهـم بباطن طِلحا والتوا منهم القصدُ

وإذا أردت الاطلاع على قصيدة الشيخ كاملة انظرها في ديوانه، ففيها الواقعة وشرح حوادثها[1]. انتهى كلام ابن بليهد -رحمه الله-.

ويروي الشيخ حمد الحميّن -رحمه الله- عن الشيخ محمد بن إبراهيم -رحمه الله- أنه قال: " دعانا أهل (ضرما[2]) على وليمة مع الشيخ سعد بن حمد بن عتيق -رحمه الله- وبعض الإخوة، فلما انتهينا من الغداء -وكان بعد العصر- استأذن الشيخ سعد ونهضنا معه -وكان هذا قبل السيارات ومعنا رواحل- فلما ظهرنا فوق عقبة (القدّية[3]) أردنا أن ننام، فقيّدنا الرواحل ولم نعقلها حتى تستطيع الرعي ولا تبتعد عنا، فلما أصبحنا ذهب الذين معنا للبحث عن الرواحل فوجدوها كلها إلا راحلة الشيخ سعد، فتفرقوا للبحث عنها، وكان الشيخ سعد في هذه الأثناء يدعو الله تعالى أن يأتيه براحلته، فأتى الذين ذهبوا للبحث عنها ولم يجدوها. فأتى رجل إلينا من بعيد وهو يسوق راحلة الشيخ سعد معه حتى وصلت إلينا، ثم اختفى ولا ندري من هو، وكان الذين ذهبوا للبحث عنها كل واحد منهم يحسب أن الآخر هو الذي يسوقها، حتى أتوا وسأل بعضهم بعضاً فأنكر كل واحد ذلك، وهذه من كرامات الشيخ سعد -رحمه الله-" [4].

---

(١) صحيح الأخبار عما في بلاد العرب من الآثار (٤/ ٢٠٢)

(٢) محافظة تقع غرب مدينة الرياض وتبعد عنها قرابة ٦٠كم.

(٣) مرتفع جبلي غرب الرياض.

(٤) رواها الشيخ حمد الحميّن -رحمه الله- الذي صحب الشيخ محمد بن إبراهيم -رحمه الله- وعمل لديه قرابة ١٨ عاماً. ونقلها عنه ابنه ناصر الحمين في مقال له.

وللشيخ -رحمه اللّه- قصص تدل على حزمه وصلابته في الحق وغيرها من الصفات، فلتُراجع في مظانّها.

وفاتــه:

ومازال الشيخ سعد على أحواله الكريمة ومزاياه حتى توفي -رحمه اللّه- بمدينة الرياض في الثالث عشر من جمادى الأولى سنة ١٣٤٩هـ، بعد أن كفّ بصره، ودفن في مقبرة العود بالرياض، وصُلّي عليه في الجامع الكبير، وأمّ المصلين الشيخ محمد بن عبداللطيف آل الشيخ [١]، وكان قد أملى وصيته قبل وفاته بشهر ونصف تقريباً في الثالث والعشرين من ربيع الأول عام ١٣٤٩هـ، وكتبها الشيخ محمد الشويعر -رحم اللّه الجميع-[٢].

قال صاحب التذكرة عن تلك السنة: وفيها وفاة الشيخ سعد بن عتيق قدس اللّه روحه ونور مرقده وضريحه... هو العالم البارع الحافظ الورع الزكي الصارم البتار لأعناق المنافقين والكفار، الذي لا يزال ذكره مقبولاً لنصرته شريعة الرسول ﷺ ولم يستره التقشف والخمول، الحبر الكبير والعلم الشهير[٣]...

وبعد دفنه -رحمه اللّه- زار الملك عبدالعزيز قبره ووقف عليه وقال:

هذا الذي لا تأخذه في اللّه لومة لائم، أشهد باللّه أنه بلّغ علمه، وصدق في نصحه[٤].

حزن الناس لفقده، وأسفوا على موته، وترجل العالم العلامة عن صهوة جواده، ورحل تاركاً سيرة عطرة تعد أنموذجاً لطلاب العلم والعلماء فرحمه اللّه رحمة واسعة.

---

[١] مشاهير علماء نجد وغيرهم: ص ٢١٥

[٢] علماء نجد (٢/ ٢٢٥)

[٣] تذكرة أولي النهى (٣/ ٢٥٠)

[٤] التحقيق: ٤٦

وقد رثاه الشعراء في وقتها، وخاصة تلميذه الشيخ الأديب محمد بن عثيمين -رحمه الله- في مرثية رائية فريدة، قال فيها:

أهكذا البـــــدر تخفي نوره الحفر ... ويفقـد العلـم لا عيـن ولا أثـر
خبت مصـابيح كنا نستضـيء بها ... وطوحت للمغيب الأنـــــجم الزهر
تُخُرِّم الصـالـــــحون المُقتدى بهمُ ... وقام منهم مقـــام المبتدا الخبر
الثابتين على الإيمـــــان جهدَهمُ ... والصادقيـن فما مانوا وما ختروا
والعادليـــن عن الدنيـــا وزهرتها ... والآمريـن بخيـر بعدما ائتمروا
هذي المكـــــارم لا تزويق أبنية ... ولا الشفوف التي تكسى بها الجدُر

وكانت مرثية ابن عثيمين في الشيخ سعد تُقرأ على الملك عبدالعزيز في مجلسه بصوت الشيخ العجيري، فلما وصل لهذا البيت:

هذي المكـــــارم لا تزويق أبنية ... ولا الشفوف التي تكسى بها الجدُر

وأشار إلى الستائر على جدران مجلس الملك، قال الملك:

حقاً ..

تلك هي المكارم[1].

[1] التحقيق: ٤٦

ويكمل ابن عثيمين مرثيته فيقول:

وابك على العلَم الفرد الذي حسُنت ... بذكر أفعاله الأخبار والسير
من لم يبال بحق الله لائمة ... ولا يحابي امرءا في خده صعر
بحر من العلم قد فاضت جداوله ... أضحى وقد ضمه في بطنه المدر
فليت شعريَ من للمشكلات إذا ... حارت بغامضها الأفهام والفكر
من للمدارس بالتعليم يعمرها ... ينتابها زمر من بعدها زمر
هذي رسوم علوم الدين تندبه ... ثكلى عليه ولكن عزها القدر
طوتك يا سعد أيام طوت أمَمًا ... كانوا فبانوا وفي الماضين معتبر
إن كان شخصك قد واراه قابره ... فعلمك الجم في الآفاق منتشر
فنُحْ على العِلم نوح الثاكلات وقل ... وا لهف نفسيَ على أهل له قبروا[1]

والقصيدة طويلة أليمة، اخترت منها هذه الأبيات. وقد رثاه آخرون كثر رحمه الله رحمة واسعة.

[1] نظم العقيق في مراثي مشايخ آل عتيق: ص٢٠

صورة لمختصر كتاب الصواعق المرسلة بخط الشيخ سعد -رحمه الله- نسخها بقلمه سنة ١٣٠٣هـ في مسجد (ماجي) في (بهوبال) في الهند (١)

المصدر: يوسف المهنا (منصة x)

صورة لمختصر كتاب الصواعق المرسلة بخط الشيخ سعد -رحمه الله- نسخها بقلمه سنة ١٣٠٣هـ في مسجد (ماجي) في (بهوبال) في الهند (٢)

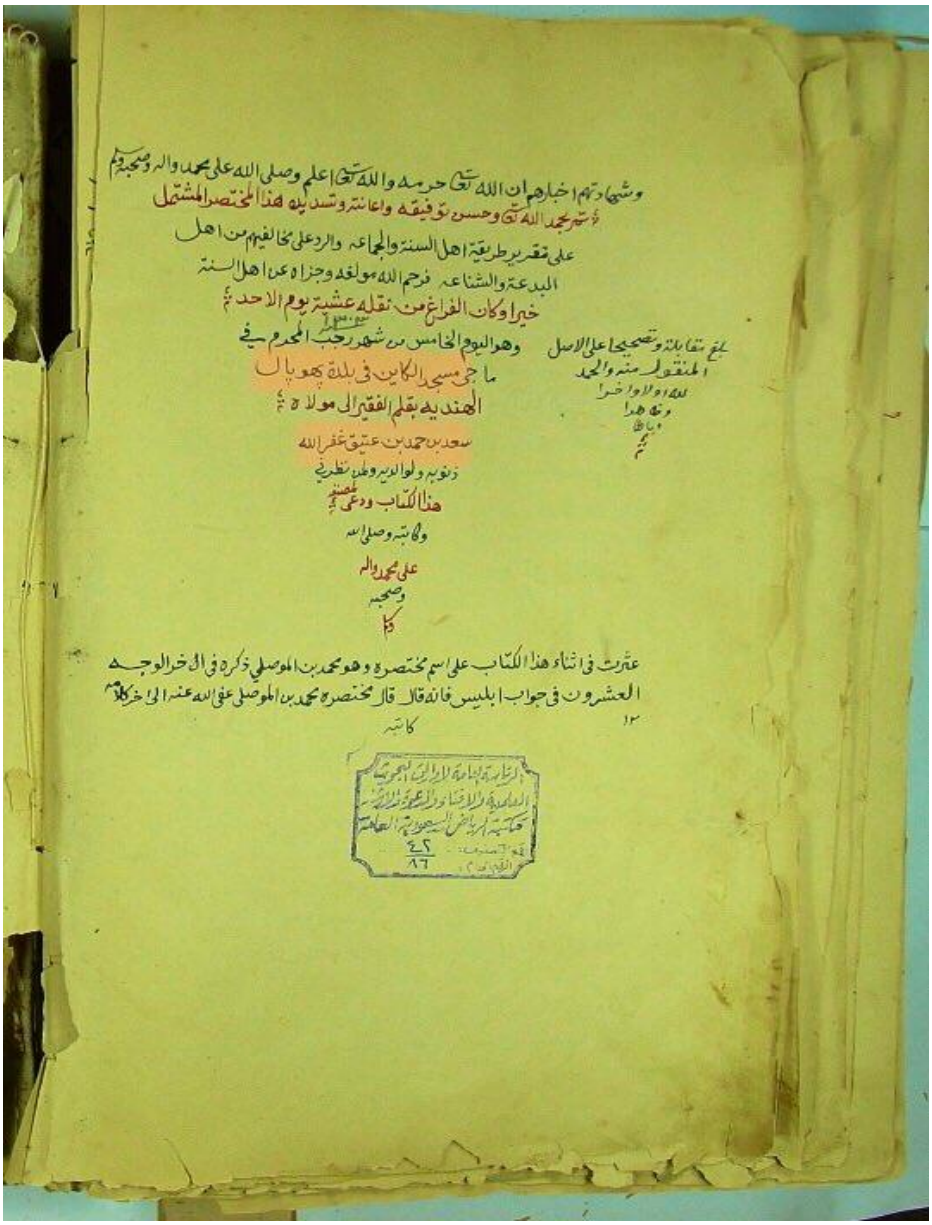

المصدر: يوسف المهنا (منصة x)

جزء من رحلة الشيخ سعد -رحمه الله- إلى الهند سنة ١٣٠١هـ

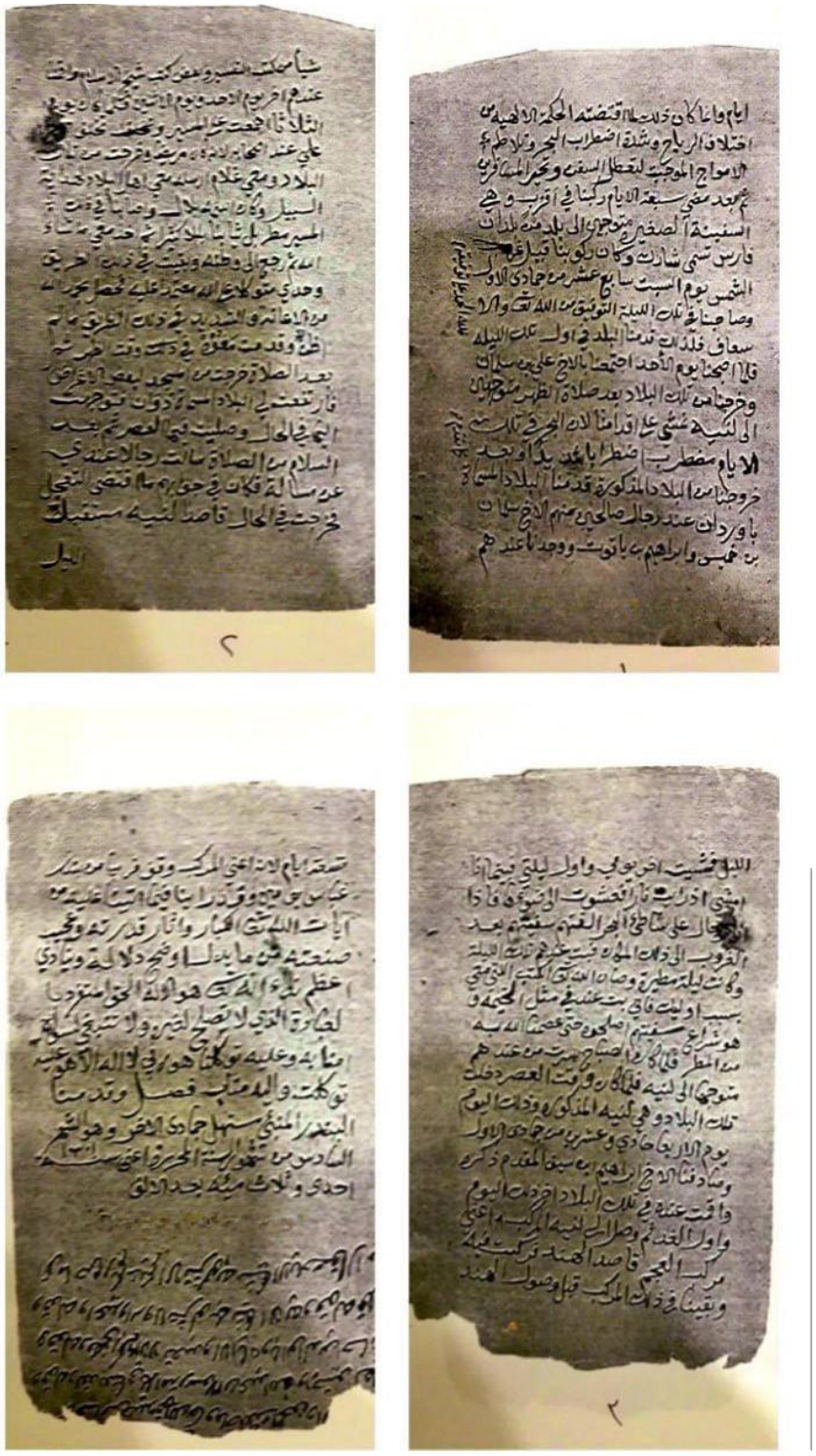

المصدر: يوسف المهنا (منصة x)

خريطة تبين طرق التجارة والحج قديماً

من إصدارات الهيئة العامة للسياحة والآثار

الخاتمـــــة

كانت هذه قصة أكثر من ثمانين عاماً لعَلَم من أعلام الدعوة النجدية، طوى الجزيرة علمه وخبره، وبذل في زمن الشحّ والقلة، بدأها متغرباً عن الأهل والأوطان، متعرضاً للنهب والأخطار، وأنهاها عاملاً بما حصّل باذلاً لما نال، نحسبه والله حسيبه ولا نزكيه على الله، فرحمه الله رحمة الأبرار، ورفع منازله في عليين، وجمعنا به في مستقر رحمته.. آمين.

والحمد لله أولاً وآخراً..

وصل اللهم وسلم على نبينا محمد..

عبدالله بن سعود آل معدي
Abo.saudd001@gmail.com

المراجـــع

١- علماء نجد خلال ثمانية قرون، لابن بسام
٢- تذكرة أولي النهى والعرفان بأيام اللّه الواحد الديان، لابن عبيد
٣- التحقيق في معرفة أبناء الشيخ حمد بن علي بن عتيق، لإسماعيل بن عتيق
٤- الدرر السنية في الأجوبة النجدية، لابن قاسم
٥- عنوان المجد في تاريخ نجد، لابن بشر
٦- مشاهير علماء نجد وغيرهم، لعبدالرحمن بن عبداللطيف آل الشيخ
٧- عقيدة الطائفة النجدية، للشيخ سعد بن عتيق
٨- تسهيل السابلة لمريد معرفة الحنابلة، لصالح آل عثيمين
٩- الأعلام، للزركلي
١٠- تراجم لمتأخري الحنابلة، لسليمان بن حمدان
١١- المبتدأ والخبر لعلماء في القرن الرابع عشر، لإبراهيم بن سيف
١٢- هداية الطريق من رسائل وفتاوى الشيخ حمد بن عتيق، لإسماعيل بن عتيق
١٣- صحيح الأخبار عما في بلاد العرب من الآثار، لابن بليهد
١٤- مجموع رسائل وفتاوى الشيخ سعد بن عتيق، لناصر السلامة
١٥- النجديون في الهند، لإبراهيم المديهش
١٦- التاج المكلل، لصدّيق قنوجي
١٧- سوانح الذكريات، لحمد الجاسر
١٨- المجموع المفيد من رسائل وفتاوى الشيخ سعد بن عتيق، لإسماعيل بن عتيق
١٩- بحث بعنوان: جوانب دعوية من سير علماء الدعوة السلفية، موقع دارة الملك عبدالعزيز
٢٠- نظم العقيق في مراثي مشايخ آل عتيق، لإسماعيل بن عتيق
٢١- شريط على طريق الدعوة، لابن باز
٢٢- مقال ناصر الحمين عن والده الشيخ عبدالعزيز في موقع صيد الفوائد
٢٣- طرق التجارة القديمة، من إصدارات الهيئة العامة للسياحة والآثار

تم بحمد الله